# صفحات من مخطوط "المفاخر العلية" لعبد السلام اللجائي عن النشاط العلمي بفاس خلال القرن التاسع عشر

## تقديم: محمد المنوني

ظهر أيام السلطان الحسن الأول مجموعة من المؤلفات عن الدولة العلوية، وكان بينها كتاب «المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية»، من تأليف أحد أعلام فاس : اللجائي : عبد السلام بن محمد الحسني العمراني، المتوفى عام 1332 / (1914)، فرغ من تأليفه يوم 9 شعبان 1305 / (1888)، بعدما اشتغل فيه خلال السنة نفسها.

وقد صنفه في عشرة أبواب، وخصص الباب التاسع لأيام الحسن الأول، وبين الموضوعات التي تناولها عن عصره، فصل جعل عنوانه هكذا : «علماء مولانا الحسن وقضاته بحضرتي فاس ومكناسة الزيتون، وعلماء أبيه وجده وصلحاؤهم».

وكعمل المؤلف في سائر الكتاب : خلل هذا الفصل بالاستطرادات، فعمد أستاذ مهتم إلى تلخيص هذا وتهذيبه ومعه معظم الكتاب، وكان المنوه به هو العالم أحمد بن محمد النميشي الحسني الفاسي، المتوفى عام 1386 / 1966، حيث أثبت تلخيصه للكتاب في كناشة له بالخزانة العامة رقم 351 ك، بينما يحفظ الأصل من «المفاخر العلية» في نسختين بالخزانة الحسنية : 460، 3070 ز.

وفي الواقع جاء هذا التلخيص يعبر عن حس ذكي لصاحبه، وقد كان من جيل المتطلعين للبحث التاريخي، وهو مؤلف «تاريخ الشعر والشعراء بفاس»، وله جملة من المقالات والأشعار الناطقة بغيرته وحيويته.

وسنتخير من «ملخصات المفاخر العلية» معظم الفصل المشار له، وأهميته أنه يرسم صورا لامعة عن المجتمع العلمي بفاس خلال القرن 19، فيتتبع أسماء العلماء وأنسابهم ووفيات بعضهم، ويقدم تفاصيل عن اختصاصاتهم وأشياخهم وطلابهم ومؤلفاتهم، كما يحدد كتب الدراسة وطبيعة الدروس وأخلاق الأساتذة، مع تبريز قناعة جماعات منهم ورفضهم لولاية المناصب.

ومن جهة أخرى : يشير لأسماء العلماء أعضاء المجالس الحديثية بحضرة السلطان مولاي عبد الرحمن وبعده.

مع تفاصيل عن قضاة فاس ونوابهم في الفترة ذاتها.

إلى أخبار عن النشاط الدراسي لعلماء تلمسان الوافدين على فاس بعد أزمة الجزائر، ثم ملامح من تعاطف بعض العلماء مع زملائهم المهاجرين.

ويزيد في أهمية هذه الصفحات من «المفاخر العلية»، أنها تنفرد بمعلومات جمة عن الحياة العلمية المنوه بها.

هذا إلى أنها تستوعب أشياخ المؤلف، فتسد ثغرة من ترجمته التي لم تدون بصفة وافية.

غير أنه يلاحظ على المؤلف أنه اهتم في عروضه بالعلوم الشرعية واللسانية، وأهمل الإشارة لحركة الرياضيات والفلك.

كما أنه يسجل - أحيانا - بعض الغرائب والخوارق دون أن ينقدها، وأيضاً لا يدقق تواريخ بعض الوفيات، وقد يغلط في بعضها.

☆ ☆ ☆

أما عملي في تقديم هذه القطعة، فقد اجتهدت في تصحيح نصها جهد الإمكان، وحال دون التعليق عليها زحمة وقت صدور المجلة.

غير أني أتبعتها بملحق تتكامل به رؤية المجتمع العلمي بفاس في الفترة ذاتها، وبهذا لم يبق إلا أن نقدم نص القطعة...

وقد بدأها المؤلف بذكر القاضي مولاي محمد فقال فيه : إنه من شرفاء مدغرة، وأنه كان قاضياً لمولاي الحسن ولأبيه وجده قبله، وأنه توفي في رمضان سنة 1300 وحزن الناس عليه، وأنه كان يحفظ المختصر والتحفة والزقاقية والعمل المطلق والعمل الفاسي وجمع الجوامع ومختصر القزويني، ونقل أنه قيل لمولاي محمد لم لا تحكم وتفصل ؟ فأجاب بأنه نص ابن أبي رحال على أنه إذا كثرت بينات الفجور ينبغي للقاضي أن لا يحكم، عسى أن يصطلح المتداعيان.

واستخلف في سفره للحج سيدي الحبيب العلوي وكان ساكنا بمكناس، ثم لما رجع مولاي محمد لفاس توجه سيدي لحبيب للصحراء، وفي بعض أسفاره استخلف العدل سيدي محمد بن طاهر العلوي وكان من عدوله وتوفي، ثم استخلف في سفر له أيضا العلامة الحافظ السيد التهامي الورياجلي، واستخلف أيضا العلامة السيد أحمد بن شيخ الجماعة الفقيه ابن عبد الرحمن، ولما جاء من سفره تركه خليفة له.

ولما توفي مولاي محمد ولى مولاي الحسن قاضيين : السيد أحمد هذا، والثاني الفقيه العلامة المدرس السيد حميد بناني، وكان قاضيا بطنجة فنقله لفاس وأمره بالحكم بمقصورة الرصيف.

وأول من جعل قاضيين بفاس السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، وذلك أن مولاي محمد طلب منه من يعينه، فعين لذلك أبا حفص السيد عمر الرندي، فضيق على أهل الفجور وضاق الناس من شدة أحكامه، وقبض على جماعة من الفقراء المشتغلين بالرقص والسماع، ثم وقع في الساعة 10 من يوم الإثنين ثامن عشر حجة عام 1286 مرور بعض فقراء درقاوة بأسواق فاس وحوماتها يذكرون الهيللة ومعهم خدمة المحتسب الحاج المهدي

بناني يحمونهم من مريد القبض عليهم، ووصلوا إلى قرب دار القاضي الرندي وأقاموا حلقة الذكر، ولما فرغوا رجعوا يذكرون الله على عادتهم.

ولما توفي الفقيه السيد أحمد بن عبد الرحمن بقي القاضي السيد حميد وحده يحكم بفاس نحو العامين، ثم في جمادى سنة 1305 تولى خطة القضاء الشريف البركة العلامة النحوي الأصولي البياني المحدث الفقيه المحقق المدرس مولانا الهادي، ابن الشريف البركة العلامة الفاضل مولاي أحمد الصقلي، وكان مولاي أحمد هذا معظما عند كبراء أهل فاس، وكان محترما عند السلطان مولاي عبد الرحمان، ولما حج مولاي أحمد وجه معه مولاي عبد الرحمن بعض حوائجه لتزويرها، ولما ولي السلطان مولاي الحسن سيدي الهادي خطة القضاء نفذ له إمامة مسجد الأبارين، وكانت قبله للفقيه القاضي السيد أحمد بن عبد الرحمن، وكانت قبلها للقاضي مولاي محمد.

ثم ذكر أن من أشياخ مولاي محمد : الفقيه ابن عبد الرحمن، وذكر أنه كانت له وجاهة عظيمة عند الحكام، وأنه كان يضرب به المثل في العلم فيقال هل أنت الفقيه ابن عبد الرحمان، وأنه لا يقرأ أحد وقت قراءته إلا الفقيه السيد محمد المكناسي مع نحو 10 من الناس، وأنه أول من أظهر حاشية الشيخ بناني على الزرقاني، وأول من أقرأ المختصر قراءة بحث وتحقيق.

واستطرد أن سيدي عبد السلام اليزمي كان يقرأ في المختصر في زمن قريب، وأنه سمع من الفاضل البركة العلامة المسن سيدي عبد الكبير بن المجذوب الفاسي يقول : قرأت على سيدي عبد السلام سلكة في المختصر بجامع الأندلس في 40 يوما، كان يجلس قبل الشروق إلى الظهر، ومن بعد صلاة الظهر إلى العصر.

ومن أشياخ مولاي محمد : سيدي عبد السلام بوغالب، قال إنه عرض عليه قضاء صفرو فامتنع، وأجبر على ذلك بإزالة ما بيده من الوظائف ففر، قرأ على سيدي حمدون بن الحاج والزروالي وابن منصور، وذكر أنه ختم عليه قراءة جمع الجوامع بالقرويين في رجب سنة 1276، وقال طلبت منه قراءة جمع الجوامع وكان يدرسه سيدي الوليد العراقي فامتنع، وقال لا اشوش عليه، وكان زاهدا ورعاً يحمل أموره من السوق بيده !! ومن طلب أن يحمل عنه ردّه، وكانت داره مهدمة الحيطان، وبيته الذي يسكن فيه كثير التراب، ولا يكلمه أحد في داره، وإذا جاء في الليل وضعت له جاريته شيئا من الطعام، فربما أكل شيئا وربما بقي ذلك إلى الصباح!! وكان يترك ثيابه متسخة، وكان يجلس بباب مدرسة العطارين ويرى الناس كأنه يفلي ثيابه، ولعل هذا أصابه بمخالطة الولي سيدي المكي الجباري، وعينه مولاي عبد الهادي لقراءة البخاري بمجلس مولاي عبد الرحمان، فلما قام من حضرته جعل يلتقط النوار بمرآ منه فعلم أنه تجاذب فعذره.

وذكر أن رجلا أتى من المدينة المنورة فاحتفل به أهل فاس وصاروا يستدعونه لمحلاتهم، وفي بعض الاحتفالات حضر سيدي عبد السلام بوغالب فقال لذلك المدني لما خرجت من المدينة ؟ فقال خرجت لزيارة الأولياء، فقال له إن المدينة كالكير تنفي خبثها، فبهت الناس وتأثر صاحب الاحتفال، ثم إن الرجل المذكور توجه للمدينة فمات في الطريق.

ومن أشياخ سيدي عبد السلام بوغالب العالم العامل الولى الصالح الورع سيدي محمد بدر الدين الحمومي الحسني كما كان يكتب ذلك بخطه، كان متبركا به ساعيا في قضاء حوائج المسلمين، معظما عند السلطان مولانا

سليمان، مر يوما هذا السلطان بجامع الأندلس فسمع تدريس العلم، فسأل عمن يدرس ؟ فقيل له طالب من طلبة الجبل يقال له السيد بدر الدين، فقال السلطان للقائل : بل الشريف العالم، وأمره بتدريس العلم بالقرويين، وكان يؤم بمسجد الأبارين، وتقصده الناس للاستجداء لأنه كان كثير الصدقات، وكان معظما أيضا عند السلطان مولاي عبد الرحمان، وله تآليف منها شرحه على الشمائل، وشرحه على المرشد، وتقاييد ورسائل ونظم كثير، ورسالة في الأتاي، وعمر طويلا واحدودب وكان يؤم محدودبا.

قال سيدي عبد السلام الجاءي المنقول عنه، وكنت أزوره وأنا صبي وكان يدعو لي بالفتح.

ومن أشياخ بوغالب أيضا الفقيه العلامة المشارك المحدث أبو العباس المرنيسي، من قبيلة مرنيسة برأس ورغة من مدشر منها يقال له الكدية، كان مشاركا في علوم، ومعتكفا على تدريس الألفية ختمها ما يزيد على 36 ختمة، ولما توفي سيدي بدر الدين أعطيت له إمامة الأبارين، فكان يأتيه قبل طلوع الفجر ولا يذهب إلا بعد العشاء، ويدرس الألفية، ويقرأ الصحيح بين العشائين، ويدرس المختصر بالقرويين، وكان منزله مأوى الأرامل والأيتام، وله حاشية على المكودي، وأخرى على شرح التلخيص، وله دين متين، توفي يوم الجمعة 17 صفر سنة 1277 ببيت بالجامع المذكور، وحمل لداره ودفن بالزاوية الدرقاوية بسويقة ابن صافي.

ومن أشياخ بوغالب القاضي مولاي عبد الهادي، ذكر أنه ولاه إمام وقته مولاي عبد الرحمان قضاء سجلماسة ونواحيها، ثم نقله للقضاء بفاس وصهره ببنته المولاة خديجة، وأنه ختم البيان والتحصيل ختمات 18، والمعيار مرارا لا تحصى، وكان على كبر سنه لا يترك تدريس البخاري بداره،

ويحضره خاصته من أهل العلم، شرح جامع الأصول شرحا لا يأتي له الزمان بمثال،وصاهر القاضي مولاي محمد بينته.

ومن شيوخ بوغالب العلامة المحقق المتقن لمختصر خليل، والمداوم على تدريسه بالقرويين، سيدي محمد الداودي التلمساني، ولما دخل العدو مدينة تلمسان سنة 1257 خرج منها علماء أجلة، منهم الداودي هذا، ومنهم سيدي محمد بن عبد الله الجاوي، ثم قال : وأخبرني بعض الثقات أنه كان يعتني بالصورة الأولى من صور درسه للمختصر دون ما عداها، ومن شيوخ بوغالب سيدي محمد بن سعد التلمساني، كان فقيها خيرا...

ثم رجع لذكر شيوخ القاضي مولاي محمد فقال : ومنهم العلامة المحقق المشارك الأديب، أبو الحسن علي بن إدريس قصارة الحميري، أخذ عن أبي عبد الله محمد اليازغي، وأبي بكر النسب، واليزمي، وأبي العباس ابن الشيخ التاودي، وسيدي حمدون بن الحاج، ولقي مولاي العربي الدرقاوي وأخذ عنه، وكان له مجلس لتدريس الألفية، وكان يقرر كلام التوضيح والأزهري، ويقرأ من 6 أبيات إلى 8، وكان مولاي محمد يلهج بذكره، له حاشية على توضيح إبن هشام، وأخرى على شرح السلم، وأخرى على شرح بحرق للامية، ونقل له كثيرا من الأشعار في مدح سيدي محمد بن عبد الرحمان حياة والده، ومدح مولاي ادريس وسيدي أحمد التجاني وغيرهم، ولكن لم يرق لي شيء منها فتركت نقلها، توفي بعد عشاء ليلة الخميس في سنة 1259، ودفن خلف ضريح سيدي رضوان بالقباب.

ثم قال : وممن كان من العلماء وقت هذا الشيخ : قريبه سيدي محمد الضرير، وكان عدلا بالسماط فمر عليه شخص فوجد أناسا واقفين بباب دكانه، فقال كأن هذه الحانوت حانوت لبان، فأصيب الشاهد في عينه بداء لازمه إلى أن فقد بصره.

ثم قال : ومن أشياخ مولاي محمد : الشيخ العلامة المطلع الحامل للمذهب، يعني السيد علي التسولي صاحب شرح التحفة، قال حدثني ولده السيد أحمد أنه نسخ من نسخة المؤلف ما يقارب 200 نسخة، وله أيضا النوازل في أسفار أدخل فيها تآليف عديدة لا حصر لها، ومنها شرح الشامل وقد كان ابتدأ شرحه سيدي محمد بن هنوا، وله حانوت محبسة عليه، ومنها حاشية الزقاقية، وأجوبة لمحي الدين، وتولى خطة القضاء ثم عزل، وكانت بينه وبين سيدي محمد الكردودي الآتي وحشة عظيمة، وكان يتولى خدمة بستانه بنفسه، وجاءه إنسان يستفتيه في نازلة وكان القاضي مولاي عبد الهادي نهى العلماء أن يكتبوا له على رسم، فلقنه نصوص الأئمة حتى حفظها، فلما دخل على مولاي عبد الهادي صار يملي عليه النصوص فحكم له بها، وكان إذا دعي لولية يسأل الداعي النائب عن صاحب الدعوة هل عينه في جلة المدعوين ؟ فإن قال له عينك ذهب وإلا فلا، وكان يتجر في آلات الحرب، وكان يلبس الملف ويجعل جلابة بونداف تحته مما يلي جسده، وكان يواسي أهل تلمسان الذين جاءوا فارين منها بعد الاستيلاء عليها، وعمدته في الفقه المفتي ابن ابراهيم الدكالي، الذي له أولاد مشهورون بالسبع لويات، فقد كان يلازمه ملازمة الظل للشاخص، فكان يأتيه عند صلاة الصبح ولا يذهب إلا بعد صلاة العشاء.

ومن أشياخ مولاي محمد : الشيخ الأكبر، المحقق لجميع العلوم، ذو الكرامات العديدة، أبو محمد صالح البخاري، جاء من ناحية المشرق لحضرة السلطان مولاي عبد الرحمان فأكرمه إكراما عظيما، وأنزله بحديقة السيد محمد بن البدوي برادة، وصار أهل العلم يتواردون عليه لأخذ العلم، منهم مولاي محمد المذكور، قال : حدثني أنه سمع منه.

لقـاء النـاس ليس يفيـد شيئـا سـوى الهـذيـان من قيـل وقـال
فـاقلـل من لقـاء النـاس إلا لأخـ ـــذ العلم أو إصـلاح حـال

وقال : حدثني ممن كان يخدمه أنـه كان يغلق عليـه الأبواب ويـأخـذ هذا الخادم المفاتيح عنده، ثم يجده ليلا في العرصة يذهب ويجيء وهو يقول حي قيوم يكرر ذلـك طول ليلـه، وكان طبيبـا مـاهرا وحكيـا كبيرا، وعلم بعض الآخـذين عنـه الكيميـاء فصنـع هـذا الآخـذ ذهبـا خـالصـا من ذهب وعقاقير وأرسله للصيارفة فاعترفوا أنه جيد وكان هـذا الآخـذ عـالمـا، وتوفي رحمه الله بالمدينة، ولما أغناه الله وصار يجد قوت عيالـه ترك استعمال هـذه الصناعة، لكونه وجد فيها عظيم المشقـة وقليل النفع، وفي اليوم الـذي خرج من فاس قدم سيدي عبد الكبير بن المجذوب الفاسي من زيارة مولاي عبـد السلام بن مشيش، فلما علم سيدي الكبير سفر سيدي محمد صالح خرج طالبا له ليودعه، فلحقه بالضويات وقال لـه ذهبت فـاعتـذر الشيخ بـأن زوجتـه كانت اشترطت عليه الرجوع بها فسافر وفاء لها، وتوفي بعد ذلك بقريب.

ومنهم رئيس المحـدثين في وقتـه الشريف سيـدي الـوليـد العرافي، كان إماما بالضريح الإدريسي، وكان يقرأ به صحيح البخاري قراءة لا مثيل لها، وكان النـاس يتعجبـون من شـدة معرفتـه للرواة وأسمائهم وأنسـابهم، وكان صوفيا فاضلا، سئل عن أصحاب مولاي العربي الدرقاوي فقـال : «يـا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما».

ومنهم الشيخ العـلامـة المحقـق النحـوي البيـاني الأصـولي سيـدي محمـد الكردودي، كان لدرسه رونق كبير، وكان في درسه لا يحرك يدا ولا غيرها، وله تآليف، وكان متولياً قضاء طنجة ثم تأخر عن ذلك.

ومن أشياخ مولاي محمد ـ وهو ممن أخذ عن أبي محمد صالح ـ شيخنا العلامة النحوي مولاي هاشم العلوي، كان يدرس بالقرويين مختصر خليل والألفية والقزويني والسلم، وله حاشية على شرح السعد، وحضرت ـ والحمد لله ـ دروسه كلها، ثم توجه لحضرة مولاي عبد الرحمان بمراكش فعظمه وأكرمه وصار يدرس هناك، فكان يحضر مجلسه ما يزيد على الخمسمائة طالب، ولما خرج من مراكش متوجها لبلده خرج معه جل أهل البلد لتوديعه، وفيهم خطيب السلطان سيدي علال الفاسي، ثم نقل عنه نص ما كان أملاه على حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، مبيناً أن الحصر في الثلاث غير مراد، وتوفي بداره بالصحراء.

ثم قال وممن أخذ عن شيخنا إبن عبد الرحمان : شيخنا المحقق المشارك قاضي مكناس سيدي محمد المهدي ابن سودة لما مات قاضيها سيدي العباس ابن كيران، وكان يقرى صحيح البخاري بحضرة مولاي عبد الرحمان، فتولى سيدي المهدي مكانه، ولما توفي مولاي عبد الرحمن أبقاه ولده سيدي محمد على حاله، وذهب للمشرق ولقي علماءه ودرس بحضرتهم وشهدوا له بالتحقيق، وكانت له أخلاق طيبة، وافتتح قراءة التفسير بجامع القرويين فحضر مجلسه ما لا يعد، ثم بعد أيام قلائل تأخر عنه بأمر سلطاني، ومع هذا فقد سمعت الشريف الورع القاضي مولاي محمد يقول : إن قراءته لا تحمل البحث، ويظهر من نظم هذا الشيخ ونثره المتقدمين أن نظمه أحسن من نثره، كما يظهر لمن سمع كلامه حسن خلقه وسعة صدره، وله رحمه الله :

أشغل النفس بالسماع لترقى لبساط الحبيب حبا وشوقا
وأزل بحديثهم ران حجب يضمحل السوى عن القلب حقا
شنف السمع بالحقيقة جمعا حاكم الحب لا يجوّز فرقا

وله تآليف منها حاشية جليلة المقدار على الخرشي، وتأليف في اللغة اشتمل على نحو 200 كراسة، وحاشية المنطق، وحاشية على رسالة العضد، وتعليق على بعض الآيات في سفر، وله عدة أشياخ منهم شيخه ومفيده سيدي عبد القادر الكوهن.

وشيخه هذا قرأ على شيوخ : منهم سيدي عبد القادر بن شقرون، وسيدي أحمد بن سودة، وسيدي الطيب بن كيران، وصحب شاذلي وقته مولاي العربي الدرقاوي، وكان يشنف بمناقبه الأسماع، ويبجل صحبه من الأتباع، ولسيدي عبد القادر هذا شرح على مدخل ابن الحاج، وله النجم الساري في ختم البخاري، مات بعد الفراغ من حجه سنة 1255 ودفن بالبقيع الشريف، وكان مولاي عبد الرحمن اصطفى سيدي عبد القادر لإقراء الحديث بحضرته حين توفي سيدي التهامي الحمادي المكناسي سنة 1248، ولما توفي سيدي عبد القادر هذا اتخذ مكانه السيد العباس ابن كيران، ولسيدي المهدي في شيخه الكوهن المذكور :

حلت سليمى على رغم العدا سحرا    بعد ازورار أتت تزور نادِينَا
نديمنا دع كؤوس الأنس مترعة    رشف اللما من سليمى عنها يغنينا
أعني به الشيخ عبد القادر العابد    الذي إلى حضرة القدوس يدنينا
العالم العاقل الحبر السري الذي    بعلمه وبحاله يربينا
شمس الأنام فمن بحر الشريعة والحـ    ـقيقة الفائض الزلال يسقينا
يارب بالمجتبى المختار من مضر    محمد المصطفى طه وياسينا
نفع جميع الورى بعلمه ابدا    ويرحم الله عبداً قال آمينا

ومنهم شيخه الفقيه العلامة سيدي الحسن بن فارس الحسني، بيتهم بيت انتساب للشرف وانتماء للمروءة، كان متضلعا في علم النحو يدرسه من

غير مطالعة لاستحضار قواعده، وكان شيخ الجماعة في وقته، قرأ على سيدي عبد القادر ابن شقرون والطرنباطي وسيدي عبد الكريم اليازغي الزهني، ولاه مولاي عبد الرحمان قضاء فاس الجديد.

ومنهم شيخه العلامة القاضي سيدي العربي الزرهوني، كان لسانه لسان أدب، وقلمه أحلى من الرطب، وأخذ عن القطب مولاي العربي الدرقاوي، وتوفي بالصويرة سنة 1259.

ومنهم شيخه سيدي عبد السلام الأزمي ينتسب بخطه للشرف، وهو قلم الصدق ولسان التقوى، قرأ بمازونة، ثم لما سمع بموت أبي حفص والمحشي بناني اغتم وقال : لم يبق بفاس إلا الشيخ التاودي وربما لم أدركه، فرءاه في المنام وهو يقول له يا عبد السلام لا يزال عمري طويلا، فلما استيقظ تهيأ للسفر لفاس فأدرك الشيخ التاودي وقرأ عليه ما يزيد على العشرين سنة، وقرأ أيضا على سيدي عبد الكريم اليازغي، وكان يختم مختصر خليل سردا في أيام العواشر دائما، وله شرح الأربعين، توفي سنة 1241.

ومنهم شيخه قاضي حضرتي فاس ومكناس العلامة الشريف سيدي أحمد بن عبد الملك، ولاه مولاي عبد الرحمان قضاء فاس فسار سيرة حسنة، ثم رده لمكناس متولياً قضاءها، ومات بها بعد 1240، ودفن وأخرج من قبره بعد سنين فوجد كأنه دفن في حينه، وهو صاحب البيت :

وقول سحنون به العنقاء طارت فلم يبق به قضاء

عارض به بيت التحفة.

وقول سحنون به اليوم العمل فيما عليه مجلس الحكم اشتمل

ومنهم شيخه سيدي العباس بن أحمد بن التاودي، ولاه مولاي سليمان القضاء لما ضعف بصر والده، ثم تولى الفقيه ابن ابراهيم القضاء فولي سيدي العباس الفتوى وقصرها السلطان عليه، فكانت تقع بينهما مراجعات على ما هو معتاد بين المفتي والقاضي.

ومنهم شيخه العلامة الأديب سيدي العربي الدمناتي، قلمه أسحر للألباب من الغانيات، قرأ على سيدي أحمد بن التاودي، وسيدي حمدون ابن الحاج، وابن منصور، وحج ولقي أيمة وعقد لتلك الحجة رحلة، وامهرها للطالبين نحلة وأي نحلة، فهي كالأس بمدينة فاس، ثم سكن ثغر الصويرة إلى وفاته بها سنة 1253.

ومنهم شيخه العلامة سيدي محمد العلمي، قرأ على الشيخ الطيب وأهل طبقة، كان للزمان غرة، ولكن لم يكسبه الزمان شهرة، ولا ولاه أمره، بل ألبسه رداء الخمول فازداد في العلم ترقيا فكان من الفحول، توفي بعد الأربعين ومائتين وألف.

ثم قال وممن أخذ عن شيخنا سيدي محمد بن عبد الرحمن : شيخنا الفقيه العلامة الصوفي أبو حفص سيدي عمر بن الطالب بن سودة شقيق سيدي المهدي المتقدم، لما حملت أم صاحب الترجمة به رأت الولي سيدي قاسم بو عسرية «دفين أزغار، فأخبرها بأنها حاملة بذكر عالم صالح، فولدت سيدي عمر هذا، كان جميل الوجه ظاهر اليمن، قرأ القرآن على مؤدب يقال له السيد محمد الزروالي وكان صالحا مكاشفا، قال له مرة وهو لازال في المكتب : إنك تكون صوفيا عالما يغلب جذبك على سلوكك، ولما حضرته

الوفاة صار الناس يذكرون بحضرته الهيللة فأنشدهم :

قــد هللــوا عنــد الممات نصيحــة    وغــدوا يــذكرني عهــود احبتي
فــأقــول هــل أنسى عهــود حمــاهم    وبهم قيــامي في الــوجــود ونشــاتي

وقوله يذكرني فيه حذف الضمير المرفوع على الفاعلية، ولو كان فغدا يذكرني أي المهلل لاستقام، قال شيخنا سيدي المهدي أخوه : ثم قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فكمل الشهادة أولا، ثم ختم بشهادة الألوهيـة. ثانيـا، جمع بين أقوال العلماء في حملهم حديث من كان آخر كلامـه لا إلـه إلا اللـه دخل الجنة، وحديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، هل بتمامها أي الشهادتين معا أو الأولى فقط، وما قلناه من الجمع على الوجه المذكور في ذكرهما معا ثم يعيد الشهادة بالألوهية فقط ويقتصر عليها : هو الذي ذكره الأبي والقسطلاني وغيرهما، انتهى من خطه رحمه الله.

وكان صاحب الترجمة عزم على زيارة النعل الشريف بدار الشرفاء الطاهريين الحسينيين بمصمودة، ومن زار هذا النعل يكون حمامه فورا لا يكمل السنة طبق ما جرت به العادة الإلاهية، فأخبر بذلك لما أراد الزيارة فلم يصرفه صارف، وقال طابت نفسي أن أقبله وأموت عنده عاجلا، فلما دخل إلى المحل الذي فيه النعل الشريف أكثر من البكاء وتعفير خده بالتراب. وبل به دموعه حتى ظنوا أنه قد خرجت روحه، ثم بكى وأنشد :

إن كان سفــك دمي أقصى مرادكم    فما غلت نظرة منكم بسفــك دمي

ثم لم تمر عليه إلا أيام قلائل وتوفي سنة 1285.

وممن أخذ عن شيخنا ابن عبد الرحمان : شيخنا العلامة الحافظ سيدي محمد الحمادي الشهير بالمكناسي، وعمدته أخوه الشيخ العلامة الحافظ الناظم

الناثر سيدي محمد التهامي بن الولي الصالح سيدي الحمادي، قال شيخنا سيدي المهدي ابن سودة : سمعت من سيدي التهامي أنهم من العرب، إلا أن بعض سلفهم سكن بآيت حماد الذين هم بطن من قبيلة بني مطير على نصف مرحلة من فاس.

كان سيدي التهامي من العلماء العاملين، قرأ على سيدي أحمد بن التاودي، واليزمي والزروالي والشيخ الطيب، وولي قضاء مكناس أيام مولانا سليمان، وقضاء مراكش بعد 1240، ثم جعله مولاي عبد الرحمن قارئ البخاري بحضرته.

ومن خط شيخنا سيدي المهدي ابن سودة ما نصه : كنا ذات يوم دعونا سيدي التهامي المكناسي مع الفقهاء سيدي عبد القادر الكوهن والسيد العباس بن كيران والسيد العربي الزرهوني والسيد عبد الواحد ابن سودة لنزهة كان السلطان مولاي عبد الرحمان أعطى لنا مالا لها، فلما أخذوا في الأكل وأنا معهم فكسرت لهم اللحم وهيأته لهم، فقال لي البعض كل أنت لا تشغل نفسك كثيرا بالتقطيع، فقال الفقيه سيدي التهامي :

إن الأسود أسود الغاب همتها     يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

فأجابه ارتجالا الفقيه عبد الواحد :

ليست مقاصده غير انبساطكم،     وإن بسطتم فذاك غاية الأرب

مرض سيدي التهامي بمراكش فأرسله مولاي عبد الرحمان اعتناء به لداره بفاس، فلما وصل للرباط اشتد مرضه عليه ودخل عليه خادم له وهو يجود بنفسه فأنشده سيدي التهامي :

وما المال والأهلون إلا ودائع

البيت، ثم تشهد ومات سنة 1251، وكان شيخنا سيدي محمد المكناسي حافظا متقنا.

ولما مات شيخنا ابن عبد الرحمان رجعت الطلبة إليه، وكبر مجلسه حتى صعد على كرسي، وكان يقرئ بالعنزة، وكان جميل الهيأة لا يلبس إلا الثياب الرفيعة، وتوجه للحج سنة 1282 ومات هناك رحمه الله.

وممن كان في طبقة شيخنا هذا ومصاحبا له : شيخنا سيدي محمد التازي الملقب بسواك، كان نحويا يقرأ الألفية، وكان يبحث معه طالب بقواعد المعقول فقال له يا ابن كذا : أما قلت لك أنا لا أعرف الأصول فلا تحشمني مع الطلبة معترفا بالحق.

وممن أخذ عن شيخنا ابن عبد الرحمن : الفقيه العلامة الحافظ للمتون، المعتني بمسائل العلم، المستحضر لقواعده، من فاز بخدمة الأمير مولاي الحسن وأبيه وجده : سيدي عبد الرحمن الشرفي، وله في التأسف على العلم :

أرقت وما حب الغواني مُورقي ... ولا هجر حب بالتباريح مقلقي
ولكن لفقد العلم آسي وإنني ... إلى الله أشكو ما لقيت وما لقى
فقد كان مثل الروض مذ جاده الندا ... تصوب فيه العين طورا وترتقي
وقد كان مثل الشمس منتشر الضيا ... على الناس في غرب البلاد ومشرق
فأصبح قفرا موحشا مقشعرة ... نواحيه من بعد أزدهاء ورونق
وهبت عليه ريح جهل فمزقت ... أيادسبا أشلاء كل ممزق
ألاسعد ياتيه فينفي خموله ... كما قد نفى الأعشا خمول المحلق
عجبت لقوم عشعش الجهل فيهم ... وأفرخ حتى صار فيهم كموثق
تصدّوا لتدريس العلوم وإنها ... لفي يدهم مثل الأسير الموثق
فمنهم فنيت اليوم حزنا فصرت مثـ ... ـل ريح جرت في مثل بيت الخورنق

ومن فئـــة غلف تسمـو بعصرنـــا نحـاة ومـا إن تعرف اسم الفرزدق
ومـا هـالني مثـل امرئ نصبت لـه كراسي مهما يـدنـو منهـا تشقـق
جهـول غـدا يقري حـديث محمـد وليس لــــه علم يفيـــد فيتقي
يقول اقتدت زرقـاء بـالأحمد الـذي جـلا الطرف منهـا بـالنبي المصـدق
ونـأي زمـان المصطفى من زمـانهـا بقـدر تنـاءي جـاهـل من محقـق
لئن صير الـزرقـــاء مسلمـــة لقـــد أراه إلى طـــود من الكفر يرتقي
فيـارب غـاض العلم من بحر فيضـه وأوقص ظهر العلم من بعـد مـا وقى

وفي قصيدته هذه أبحاث لا تخفى، وتولى هذا الفقيه خطة الحسبـة، ثم رجع للكتابة في خدمة الأمير سيدي محمد.

وممن أخذ عن شيخنا سيدي محمد بن عبد الرحمان : العلامة البركة أبو مروان عبـد الملـك الشريف العلوي الضرير، يـدرس بـالقرويين الفقـه والأصول، وله أوصاف حميدة، وهو الآن ـ سنة 1305 ـ حي بارك الله فيه.

وممن أخذ عن القاضي مولاي عبد الهادي : أبو عبد اللـه سيـدي محمـد بن العلامة المدرس السيد علي الميتوي، أخذ عنه النحو جماعة من المـدرسين، منهم الفقيه جنون، وآخراً : الفقيه النحوي السيد عبد الله بناني، ونفع اللـه بالسيد عبـد اللـه هـذا مـا لا حصر لـه من الخلق، بـارك اللـه فيـه، ولقيني صـاحب الترجمـة مرة فقـال أين الإسم والخبر في قـول اللـه فما زالت تلـك دعواهم، فقلت لـه تلـك هو اسم زال ودعواهم خبرهـا، وقـد نص في التسهيل على أن الأصـل تقـديم المرفـوع على المنصـوب مطلقـا، فنشـط وفرح وحلف يمينا قال فيها إن فلانا لا يهتـدي لهـذا، ولقيني وقت تـأليفي لهـذا الكتـاب

سنة 1202 وقد تولى بعض المدرسين القضاء، فقال لي والله ليحق لك أن تنشد :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

وهذا من سماحة صدره وطهارة سره، وتوفي بعد هذا بيسير.

وممن أخذ عن مولاي عبد الهادي ولده الشريف الوجيه الخير الفاضل العلامة الناسك المتواضع، المحب للمساكين، والمتبرك بالمنتسبين، والساعي في حوائج المستضعفين، التارك للحضور في الولائم واستبدالها بحضور الجنائز، أبو العلاء مولاي ادريس، حج مرارا، وفعل أنواعاً من الخيرات، وهو الآن سنة 1305 حي بارك الله فيه، وقرأ على سيدي عبد السلام بوغالب والفقيه إبن عبد الرحمن والمرنيسي وكلاًّ، وقرأ مدة طويلة على الفقيه العلامة المسن السيد محمد بن الخضر المعسكري، وقرأت أنا عليه أيضا فرائض خليل، وتوفي بعد التسعين والمائتين وألف.

وممن أخذ عن سيدي الوليد العراقي المتقدم الذكر : الشريف العلامة سيدي أحمد النسب، تولى الإمامة والخطبة بالضريح الإدريسي بولاية القاضي مولاي مَحمد، وكان يرفع صوته بالتكبير كثيرا وقد أصاب، وكان إذا دخل إنسان وهو يخطب وافتتح الصلاة صاح عليه اجلس اجلس، وهذا خطأ، قال الزرقاني عند قول خليل «وقطع محرم في وقت نهي، ما نصه : وشمل قوله محرم إحرامه فيه عامدا أو ساهيا أو جاهلا ثم تذكر وعلم فيها بأنه وقت نهي، وهو كذلك في سائر الأوقات، إلا من دخل يوم الجمعة والإمام يخطب فأحرم بنفل جاهلا أو نسيانا «فلا يقطعه لقوة الخلاف في أمر الداخل والإمام يخطب، بخلاف غير الجمعة» إلى آخره، ثم قال : وكان

يدرس المنطق والبيان والأصول، وله أتباع يشهدون له بالتحقيق، توفي بعد 1290.

ومن أخذ عن سيدي محمد الكردودي وسيدي علي قصارة وابن عبد الرحمان : شيخنا العلامة الحاج محمد التلمساني، انتفع به ناس كثيرون، توفي في نحو التاريخ قبله، ولنا معه رحمه الله مذاكرات.

ومن أخذ عن هؤلاء : الفقيه المدرس الشريف سيدي أحمد السريفي العلمي، درس بالقرويين النحو والبيان والفقه، وكان يعتكف بالأندلس، وذهب للحج،وتوفي فيما يقرب من التاريخ قبله.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمن : الفقيه العلامة الواعظ سيدي محمد بن بوعبيد التادلي، كان موثقا بالطالعة، وشغله التوثيق عن التدريس، وكان له صوت حسن في الوعظ، كان يقرأ كتاب الأحياء بالقرويين قرب باب الصومعة، فكان يجتمع عليه لحلاوته وطلاوته خلق كثير، توفي نحو 1293.

ومن أخذ عن الشيخ التسولي والمرنيسي وابن عبد الرحمن وسيدي علي قصارة: العلامة المدرس المفتي النوازلي المطالع أبو الحسن سيدي علي بن محمد السملالي، وهو الآن أدام الله عمره حي، وربما أرسله مولانا المنصور لبعض البلاد لغرض.

ومن أخذ عن سيدي عبد السلام المتقدم : الشريف العلامة الصالح سيدي عبد السلام بن الخضر العمراني، من آل العارف الكبير مولانا عبد الرحمن الشريف العمراني دفين الجاية، حدثني أن الشيخ سيدي عبد السلام اليزمي أمر كبراء أصحابه أن يكتبوا حكم نازلة، فكتب سيدي عبد السلام بن الخضر هذا بعدما كتب غيره، فأمر الشيخ الآزمي أن تكون كتابة سيدي

عبد السلام هذا هي العليا، وكتابة غيره أسفل منها، وسمعته يقول : لِمَ يترك الناس الاستشهاد بكلام سيدي خليل ويستشهدون بالمعيار تاركين لما في المختصر ؟ وكان ضعيف البصر فشكا ذلك لبعض الأولياء فقال له إن لم تتول خطة القضاء ضمنت لك بصرك، فبقي بصره لا بأس به، وكان يقوم طرفا من الليل دائما وحده، وعرض عليه القاضي مولاي محمد قضاء مراكش فامتنع امتناعا كليا، توفي في نحو 1280.

ومن أخذ عن سيدي الوليد العراقي وابن عبد الرحمن ومن في طبقتها : شيخنا الشريف العلامة المحقق المحدث أبو السعود سيدي عبد القادر العراقي، كان يدرس بالقرويين، وممن يحضر قراءة الصحيح بحضرة السلطان، وذهب للحج وتوفي في قفوله منه سنة 1289، وأخذ أيضا عن عمه المحدث البركة سيدي محمد فتحا، وهو محدث كبير، وكان يقرئ الألفية للعراقي، وتوفي سنة 1273، وسيدي عبد القادر هذا له تآليف منها حاشية على شرح التاودي للتحفة، وأخرى على المكودي، ودار سيدي عبد القادر دار علم، لانه من نسل العلامة المحدث الكبير أبي العلاء سيدي إدريس، ووجدت بخطه أنه عبد القادر بن العالم العلامة أبي القاسم، بن عبد الله المحدث، بن ادريس الحافظ، بن محمد فتحاً النحوي المدعو سيبويه.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمان : الفقيه الأديب الخير الفاضل السيد أحمد الوديني، وكان آية في الفهم والأدب، وطلب سيدي محمد بن عبد الرحمان من القاضي مولاي عبد الهادي أن يوجه له طالبا فوجه له هذا الفقيه، وكان سيدي محمد لازال خليفة إذذاك، فبقي في خدمته إلى أن توفي الفقيه بعده واقعة تطوان ورجوعها، رحمه الله.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمن ومن في طبقته : الفقيه العلامة سيدي محمد الصفار التطواني الوزير، استوزره مولانا عبد الرحمان وكذا ولده سيدي محمد كما استوزره مولاي الحسن.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمان : الفقيه النحوي الأصولي البياني الخير الفاضل المدرس الذي نفع الله به خلائق لا حصر لها : أبو عبد الله سيدي محمد الطيب، ابن العلامة المدرس المحقق أبي بكر، بن شيخ الجماعة سيدي الطيب ابن كيران، قال شيخنا سيدي المهدي بن سودة كما وجدته بخطه في ترجمة الفقيه العلامة سيدي العباس بن كَيران : «بيتهم بيت علم بفاس، وناسهم خير ناس، أهل الثروة والمروءة التامة، والأخلاق الكريمة المرضية العامة، ونص الترجمة المذكورة : ومنهم شيخنا الفقيه العالم العلامة قاضي مكناس سيدي العباس ابن كَيران، بيتهم بيت علم،إلى آخر ما تقدم، ثم قال : قرأ على أشياخ منهم : ابن عمه سيدي الطيب والزروالي، وابن منصور، وسيدي إدريس العراقي، وسيدي أحمد بن سودة، وحج وزار أيام مولانا سليمان، وكان يدرس بالقرويين المختصر والنحو والبيان والحديث والتفسير، قرأنا عليه النحو وقد انتفعنا فيه عليه، وحضرنا بعض مجالسه في الفقه فكان يأتي بالصور بادية للأفكار، مجتلية للنظار، يبديها لهم براحة فكره، وله تآليف وتقاييد، ولاه مولاي عبد الرحمن قضاء مكناس، وانتخبه لقراءة الحديث عليه في الأشهر 3 كل سنة، من سنة 1255 لما ذهب شيخنا الكوهن للمشرق، وأحيا بمكناسة العلوم أيام ولايته بها، وكانت جوانبه هينة لينة، والتقوى في جوارحه بينة، لا ينتصر إلا لله، ولا يشتكي من الضيق وبلواه، دائما بيّن البشاشة، ويظهر السرور في الزمان ما عاشه، وكان كريم المائدة، لا يغتاب أحدا ولا يذم وقتا.

ومن أخذ عن سيدي محمد الكردودي وبوغالب وابن عبد الرحمن : شيخنا الشريف الجليل، سيدي قاسم القادري، كان يدرس المنطق والبيان والأصول والنحو، وكان من الموثقين، صدره لذلك مولاي عبد الهادي، وكان يخطب بجامع عجيسة نفذها له أيضا مولاي عبد الهادي، وكان له مجلس بعد صلاة العصر بالقرويين يقرئ به البيان، رحمه الله، ولما توفي ولي ولده الشريف الجليل البركة سيدي محمد الخطبة المذكورة وصار يدرس، وهو من المدرسين نفعنا الله به.

ومن أخذ على من ذكرنا قبله : الشريف الجليل البركة الفاضل سيدي جعفر بن سيدي إدريس الكتاني، من سادتنا الشرفاء الكتانيين أهل الخير والفضل، كان أبوه سيدي إدريس من الموثقين بحضرة فاس، وسيدي جعفر من المدرسين ومن أهل الفتوى، وله اعتقاد كبير، وله ولد من المدرسين النجباء الفضلاء اسمه سيدي محمد حفظه الله.

ومن أخذ على من ذكرنا : شيخنا البركة سيدي أحمد بن سيدي محمد بن الشيخ سيدي حمدون بن الحاج، كان أبوه سيدي محمد عالما بالحديث والبيان والأصول، وكان موثقا بسماط العدول، وكان يقرئ البيان والحديث بالقرويين، وأخوه سيدي محمد الطالب كان قاضيا مدة طويلة بمراكش، ثم ولاه مولانا عبد الرحمان قضاء فاس حين مات مولاي عبد الهادي، وأدى عليه ديونا ترتبت بذمته أيام قضائه بمراكش، فتعجب الأمير مولاي عبد الرحمان من ذلك، وولاه قضاء فاس وبقي سنة ومات رحمه الله، فتولى محله القاضي مولاي محمد، ولسيدي محمد المتقدم ولد آخر كان عالما محققا مدرسا، انتفع به خلق كثير، وختم سلكة في المختصر بالقرويين، وتوفي رحمه الله تعالى، واسمه سيدي المهدي، وكان خيرا فاضلا طيبا جليلا.

ومن أخذ عن التسولي والمرنيسي والزرهوني وابن عبد الرحمان : الشريف العلامة البركة النوازلي سيدي محمد الغالي بن سيدي محمد المدعو حم من ءال مولاي عبد الرحمان الشريف العمراني، قال القصار : العمرانيون بالجبل ممن لا يطعن فيهم، ثم قال : ولأهل هذا النسب رسوم كتب عليها سيدي عبد الله العبدوسي بصحتها، وثبوت نسب من شهد له فيها، واتصاله بسيدنا الحسن.

كان صاحب الترجمة صالح الباطن، وفتاويه عمت المغرب كله أو كادت، تأتيه المكاتب من جميع البلدان، وتتوجه إليه الرسوم من جميع الجهات، وريء بعد موته فقيل له كيف كان سؤالك في القبر ؟ فقال لم أسأل !!! ورآه بعد موته الشريف البركة الخير الفاضل سيدي عبد الرحمن المدغري ليلة دفنه، فأخبره بأنه لقي خيرا من الله عز وجل، فجاء ذلك الشريف بنفسه لداره ليخبرهم بذلك، وطلب منه إنسان أن يكسوه لله تعالى، فدخل لزنقة وأزال قميصه وأعطاه له، وكان إذا قبض شيئا على الفتوى أعطى من كان معه جالسا.

وكان مرة مع الشيخ التسولي فجاءه إنسان وقال له أين نفعل البحيرة في هذه السنة ؟ قال الشيخ التسولي لذلك الإنسان إني أكرهك، لأني خسرت في البحيرة التي فعلتها معك، فقال له الرجل أما ربحت فيها خمسة عشر مائة مثقال، فقال له الشيخ خسرت فيها ضياع الأوقات واشتغال القلب بما يرجع إليها، فاطلب غيري فإني لا أعود إلى فعلها، أخذ سيدي الغالي المذكور عن سيدي محمد الحراق، وعن سيدي الحاج أحمد الغماري.

له شرح على الوثائق الفاسية إلا أنه ضاع، وله تأليف سماه «أبطال الشبه ورفع الالباس في الرد على من صوب في تقييده خطأ الناس»، وسببه

أن شيخه المرنيسي ألف تأليفا في ورقتين تكلم فيه على الذكر وحكمه وفضله وكيفيته وصفته وفائدته وعقوبة من أعرض عنه، وقال فيه : وقد سئل أبو أبراهيم المزني عن الرقص والطار والشبابة. قال هذا كله لا يجوز في الدين، ووجدت في آخر هذا التأليف هذا ما يسر الله جمعه على يد الفقير أحمد بن محمد بن علي المرنيسي، ثم كتب عليه أخونا وصاحبنا الفقيه العالم الناسك الخير سيدي محمد بن المرحوم سيدي عبد اللطيف جسوس ما نصه : هذا التقييد أعلاه وحوله في الورقتين المتصلتين : بناه صاحبه على سؤال أبي ابراهيم المزني بزعمه، والسؤال المذكور ليس فيه تعرض لذكر الله، وإنما فيه الرقص والطار والشبابة كما ترى، وكلامنا نحن في رقص الفقراء في حالة الذكر مجردا عنه، وإذا كان كذلك أي ليس إلا مجرد التصفيق والرقص والضرب بالأكف تارة وبالشبابة أخرى كما هو لفظه : فهذا إنما هو مجرد لعب ومسخرة وهتك لحرمة المسجد، فهؤلاء لا كلام لنا معهم، وفعلهم إنما هو سفه وقلة مروءة في غير المسجد، فأحرى في المسجد، فهذا خارج عما نحن فيه، فلا يقول مسلم بجواز فعل هؤلاء السفهاء ذلك الفعل الشنيع في المسجد فاعرفه، ثم قال : وقال في الأحياء في كتاب السماع والوجد ما نصه : والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة، فإنها إما أن تكون من جماد كصوت المزامير والأوتار والقضيب والطبل وغيره، وإما أن يخرج من صوت حيوان، وذلك الحيوان إما إنسان، أو غيره كصوت العنادل وذوات السجع من الطيور، فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة، ولا بين جماد وحيوان، فينبغي أن يقاس على صوت العندل الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار من الآدمي، كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره من

سائر الآلات، ثم قال الغزالي الدرجة 3 الموزون المفهوم وهو الشعر، وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان، فيقطع بإباحة ذلك، بل قد ادعى ابن عبد البر وغيره الإجماع على جوازه، انظر بسط ذلك في الأحياء مستوفى انتهى منه بلفظه من خط الفقيه سيدي أحمد المرنيسي، وهذا التأليف فيه نحو خمس ورقات، فلما وصل رد جسوس هذا على الفقيه المرنيسي طلب من الشريف المذكور أن يرد الرد المذكور، فرده بتأليفه ابطال الشبه المتقدم، وما قدمناه في صاحب الترجمة اشدد يدك عليه :

لا تسمعن من الحسود نميمة فكلامه ضرب من الهذيان
إن كان قد أوحى إليك ترقصا فالناس قد كذبوا على الرحمان
سل غيره عني ليعلم إفكه واسخط عليه فبالمحال رماني
لا يثبت الحق المبين لحاكم في الشرع حتى ينطق الخصمان

توفي رحمه الله في نحو 1280.

وممن أخذ عن ابن عبد الرحمان وسيدي الوليد العراقي وسيدي محمد الكردودي وسيدي محمد قصارة وسيدي محمد المتيوي : شيخنا الفقيه العلامة ذو التآليف العديدة أبو عبد الله سيدي محمد جنون، له إقبال عظيم على المطالعة، توفي سنة 1303 بعد أن انتفع به خلق كثير، وصار كل واحد ممن انتفع به رئيساً مدرسا محصلا، فمنهم أخوه المدرس الفاضل ذو الخلق الحسن سيدي التهامي وجل قراءته عليه، ومنهم الشريف المدرس الفاضل، سيدي محمد بن أحمد بن العربي الصقلي، ولا أعلم له شيخا غيره، ومنهم الشريف البركة الفاضل الخير التقي المدرس المؤلف المحقق أبو العباس سيدي أحمد الشهير بابن الخياط، له تآليف وتقاييد جليلة، وله اعتناء بمجلس درسه،

وله أخذ كثير على غيره من أشياخ سيدي محمد جنون، كالفقيه ابن عبد الرحمن، والفقيه البركة سيدي محمد الداودي التلمساني، وسيدي أحمد بناني، وسيدي عبد السلام الغالبي، وشيخنا مولانا هاشم العلوي.

ومنهم الفقيه المدرس البركة سيدي محمد بن المقدم التلمساني، ومنهم الفقيه المدرس سيدي محمد بن التهامي الوزاني، ومنهم الفقيه المدرس سيدي خليل التلمساني، ومنهم الفقيه المدرس سيدي أحمد التلمساني، ومنهم الشريف الفقيه المدرس البركة سيدي محمد بن سيدي قاسم القادري، ومنهم الفقيه العلامة المدرس سيدي عبد السلام الهواري، ومنهم الشرفاء الأجلة المدرسون الأخيار سيدي المكي وسيدي أحمد وسيدي الطيب، أبناء الشريف البركة سيدي محمد بن أحمد الوزاني، ومنهم الفقيه العدل المدرس سيدي إدريس بن شيخنا سيدي محمد بن عبد الرحمان، وهؤلاء كلهم أحياء وقت تاريخه وهو سنة 1305، بارك الله فيهم، وأعاد علينا من بركاتهم، وممن أخذ عنه الفقيه القاضي المرحوم سيدي أحمد بن شيخنا ابن عبد الرحمان.

وممن أخذ عن شيخنا ابن عبد الرحمن والمرنيسي وسيدي أحمد بناني : الفقيه المدرس الفاضل القاضي وقته بفاس السيد حميد بناني، وممن انتفع به وشاركه في بعض أشياخه : الشريف الجليل المدرس الخير سيدي محمد الماحي، بن الشريف البركة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الصقلي، توفي سيدي الماحي المذكور سنة 1303.

وممن أخذ عن ابن عبد الرحمان والمرنيسي ومن في طبقتهم : الشريف الجليل الخير الفاضل العلامة المحقق المدرس، نقيب الشرفاء في حينه، سيدي عبد الله بن الشيخ البركة الصالح القدوة المشارك المقرئ أبي العلاء سيدي إدريس البدراوي الشريف الودغيري الإدريسي، كان سيدي ادريس هذا

من العلماء الأخيار، الأتقياء الأبرار، الساعين في حوائج المسلمين، لقيه إنسان فأخبره أن عليه دينا للحاج الطالب ابن جلون، فذهب معه إليه وكلمه في شأنه فسامحه وأكرمه، وأخذ سيدي ادريس عن ابن عبد السلام الفاسي، وقد جعل الله في ذرية سيدي ادريس العلم والخير والفضل والبركة، كسيدي عبد الله بارك الله في عمره، وكأخيه شيخنا البركة الفاضل العدل سيدي محمد، وكأخيه المدرس البركة الفاضل سيدي أبي النصر، وكالفقيه المدرس الخير سيدي محمد بن أبي النصر المذكور، وحفدة هذا الشيخ سيدي إدريس وأولادهم مشتغلون بالعلم الشريف.

وممن أخذ عن ابن عبد الرحمان وطبقته : العلامة المحقق المدرس الفاضل الكاتب البارع الأديب، فقيه حضرة سيدنا : سيدي عبد الواحد ابن المواز السلياني، وله اولاد نجباء أدباء، حفظه الله ويارك في عمره وعمرهم.

وممن أخذ عن ابن عبد الرحمن وطبقته : قاضي مكناس وخطيب الضريح الإدريسي، الفقيه المحقق المدرس المحدث البركة، أبو العباس سيدي أحمد بن الطالب ابن سودة، لصاحب الترجمة حياء وكرم ومروءة، من جاء حضرة مكناسة أضافه وأكرمه وقام بأموره، ومفاخره عديدة، يقرئ صحيح البخاري في حضرة سيدنا، تولى خطة القضاء وتدريس البخاري بالحضرة بعد وفاة أخيه وشيخه سيدي المهدي.

وقد نفع الله به أقواما لا حصر لهم، منهم أخوه البركة العلامة المدرس سيدي عبد الله، ومنهم الفقيه المدرس الموثق، سيدي محمد الزريعي، ومنهم أبناء أخيه : الفقيهان المدرسان، سيدي علي وسيدي محمد، أبناء الموثق البركة سيدي عبد القادر، ومنهم ولد أخيه العلامة المدرس الموثق الخير سيدي الطيب بن سيدي عمر، ومنهم الفقيه المدرس الفاضل السيد بوبكر

بناني، وانتفع به من طلبة القبائل ما لا يحصى، ولا زال الله تعالى ينفع به، أطال الله عمره.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمان وطبقته : الفقيه العلامة النحوي التصريفي الموثق، المشارك المحقق، البركة، خطيب جامع الأندلس، سيدي محمد بن عبد الواحد ابن سودة، وأخذ عن والده، وسمعته يحدث أن أباه سيدي عبد الواحد كان يقول في سجوده : اللهم أعني على فهم صور مختصر خليل، كان يدرس الألفية ويستحضرها، وله شرح عليها، وانتفع به خلق كثير، منهم ولده الخير الفاضل المتولي خطبة الأندلس بعده سيدي الطاهر، وكلامه في غاية الحلاوة.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمن والمرنيسي وطبقتهما : الفقيه المدرس البركة الفاضل الحاج الصالح التادلي.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمن والقاضي مولاي عبد الهادي : الفقيه المدرس المفتي، المتولى خطة القضاء بمراكش، سيدي عبد الواحد الدويري، رحمه الله.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمن : الفقيه المدرس الفاضل، السيد الحسن السملالي، وقرأ بسوس على شيوخها المعتمدين، حدثني أنه قرأ على بعض شيوخها مختصر الشيخ خليل ثلاث مرات، بارك الله تعالى في عمره.

ومن علماء حضرة فاس الفقيه الأديب النحوي الفاضل المؤلف، سيدي العربي المشرفي، وقرأ بغير فاس، واستوطن فاسا بارك الله في عمره.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمن وسيدي الحسن بوفارس وسيدي بدر الدين : الفقيه البركة الخطيب البليغ، خطيب مولانا الحسن وأبيه وجده

سيدي علي بن سيدي عبد الله الفاسي، له باع طويل في المطالعة، واعتناء كثير بالكتب والمسائل العلمية، ومعرفة كثيرة بالطب، أطال الله عمره.

ولما كان الشيء بالشيء يذكر تذكرت هنا طبيبا ماهرا أدركناه ورأيناه، فأردت ذكره هنا، لأن الطب علم من العلوم، وهو رجل كان يقال له عبد القادر العلج، جاء من بلاد الروم ومن الله عليه بالإسلام، وكان في أول أمره لم يعرف، فكان يبيع شراب القهوة، ثم أراد الانتقال من فاس طلبا للمعاش، فرأى في منامه الولي الصالح الشريف المبارك سيدي العربي التاكناوتي وفي يده سكين وكأنه يقول له اجلس وإلا ضربتك بهذه السكين، فلما طلع النهار جاء لمحله الذي يبيع فيه القهوة، فإذا بالولي المذكور جاءه وفي يده تلك السكين، وقال له عبد القادر : أهذه هي السكين، يعني السكين التي رآها في النوم، فعزم على عدم السفر، ثم اشتهر أمره في الطب، ثم أصابه العمى فعالج نفسه أشهراً فرد الله عليه بصره، ودخل على مريض فعالجه وبقي معه في المجلس حتى احتاج المريض للمشي، فما خرج عنه حتى عافاه الله، وطلب منه إنسان أن يعالج له جارية وأعطاه عطاء على ذلك، فامتنع من قبوله بعد أن رأى الجارية وقال له غدا في الوقت الفلاني آتي وذهب، فلما أتى وجد الجارية ماتت، فقال لسيدها كانت الموت بها بالأمس مع أنها تقبل وتذهب، وكان مع أناس في نزهة فلما أكلوا أخذوا في البسط والمداعبة، فقالوا له قلب لنا أبناطنا لتخبرنا بمن أكل كثيرا منا، فقبض على نبض واحد منهم فقال له أكلت حقك، إلى أن أتى لنبض رجل فلما وضع يده عليه تغير وجه الطبيب، وقال لأصحابه لا أقبض على نبض أحد منكم بعد هذا، فلما قام ذلك الرجل من بينهم ألحوا عليه في أن يخبرهم، فأخبرهم بأن ذات الرجل كأنها قربة من دم، وأنه يموت قريبا، فمات ذلك الرجل في

الغد، ولما مرض هذا الطبيب مرض موته دخل عليه الفقيه العدل الخير الفاضل سيدي أبو جيدة الفاسي، فقال له الطبيب أطلب منك أن تتوضأ وأن تصلي ركعتين وأن تدعو الله تعالى أن يميتني على الإسلام، فتوفي رحمه الله في نحو 1270.

## ملحـــق

ويشتمل على نص يعدد مجالس الوعظ وتدريس الشرعيات بفاس أيام السلطان مولاي عبد الرحمن هشام، وجاء النص ضمن «الفتح المبين في وقائع الحج وزيارة النبي الأمين»، وهو عن الرحلة الحجازية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني، ودونها عنه الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني، فيرد خلالها ذكر مجالس الوعظ والتدريس التي كان يحضرها الرحالة بفاس، ويبدأ بمجالس الوعظ قائلا :

1 - «ففي الوعظ مجلس الفقيه... سيدي محمد بن يفّ الكبير بجامع وادي رشاشة بعد طلوع الفجر، وفي القرويين بعد الظهر، وفي جامع الرصيف بعد طلوع الفجر أيضا، وكان يسرد في هذه المجالس «الإحياء» وغيرها من كتب الوعظ.

2 - ومجلس الفقيه العدل الأديب سيدي محمد بن عبيد بجامع القرويين قبل صلاة العصر وبعدها، وكان يسرد قبل : «الحلية» وتأليفا في الجهاد لسيدي عبد الهادي... وبعد : الذخيرة (المعطوية).

3 - ومجلس الفقيه الشريف العدل سيدي المفضل القادري بالقرويين بعد صلاة العصر، وكان يسرد تأليفا للسيوطي في فضل الصلوات الخمس والنوافل الليلية والنهارية.

4 - ومجلس الفقيه سيدي محمد بن الهاشمي بجامع الديوان، وبجامع شيبوبة، وبزاوية سيدي أحمد بن عبد الصادق، وكان يسرد كتب الوعظ تارة، ويدرِّس أخرى.

5 - ومجلس الفقيه الناسك سيدي الطاهر بن موسى : بسيدي قاسم ابن رحمون، وبجامع زقاق الحجر : بالفجر، وبمولانا إدريس قبل صلاة العصر، وبالقرويين قبل صلاة الظهر.

6 - ومجلس الفقيه الواعظ الصالح : سيدي مسعود بناني بجامع عين علُّو.

7 - ومجلس الفقيه العلامة : سيدي محمد مسواك التازي : بجامع الرصيف : بعد طلوع الفجر، وبالقرويين : قبل صلاة الظهر، وبجامع ابن البيّاض بين العشاءين، وكان يسرد كتب الوعظ : كالوافدي والمنذري وغيرهما.

8 - ومجلس... سيدي العربي الزرهوني بمولانا إدريس بعد طلوع الشمس، وكان يسرد كتب الوعظ.

9 - ومجلس... مولاي مّحمد العراقي بالقرويين : بين العشاءين، وقبل صلاة العصر وبعدها، وكان يسرد بين العشاءين صحيح البخاري»،

و«المسنـد» لابن حنبل، والقشيري على أسماء اللـه الحسنى، والكـلاعي، وقبـل صلاة العصر «الحلية»، وبعدها المنذري تارة، و«الدر المنثور» أخرى.

10 ـ ومجلس أخيـه... سيـدي محمـد بـالقرويين أيضـا : قبل صـلاة الصبـح وبعـدهـا، وكان يسرد قبـلُ : الـدر المنثـور» و«صحيـح البخــاري»، وبعـدُ : «صحيـح البخـاري»، و«الشفـا»، وابن عبـاد على الحكم، والحُرَيْفِشي، وتفسير الثعالبي.

☆ ☆ ☆

11 ـ وفي الحديث : مجلس... سيدي عبد القادر الكوهن بالقرويين بين العشـاءين، وفي سيـدي أحمـد بن يحي بعـد صلاة الصبح، وكان يـدرس «صحيح البخاري».

12 ـ ومجلس... سيـدي محمـد بن سعـد التلمســاني بــالقرويين بين العشاءين، وكان يدرس صحيح البخاري تارة، ورسالة ابن أبي زيد أخرى.

13 ـ ومجلس الفقيـه المجيـوي بـالقرويين : بـالعنزة صبـاحــا، وكان يدرس صحيح البخاري.

14 ـ ومجلس... سيدي محمد السنوسي إمـام الضريح الإدريسي : بـه بعد صلاة الصبح، وكان يدرس صحيح البخاري.

15 ـ ومجلس... مولاي الوليد العراقي : به أيضا، بعـد صلاة الصبح أيضا : بعد وفاة السنوسي، وكان يدرس صحيح البخاري أيضا.

16 ـ ومجلس... سيدي محمد بن مولاي حفيد الدباغ : بمولانا إدريس قبل الزوال فوق باب الطبالين، وكان تسرد عليه الشفا ويتكلم في بعض المواضع.

17 ـ ومجلس... القاضي مولاي عبد الهادي... بالقرويين : بالعنزة بعد صلاة الظهر، وبجامع عقبة ابن صوال صباحا، وكان يدرس صحيح البخاري في الأول، ويسرده في الثاني.

18 ـ ومجلس.. سيدي أحمد المرنيسي : باللّبارين بين العشاءين وبعد صلاة الظهر، وبالقرويين صباحا وضحوة، وكان يدرس صحيح البخاري.

19 ـ ومجلس... سيدي الطالب ابن الحاج بجامع زقاق الحجر ضحوة، وبمولانا إدريس بعد صلاة الصبح، وبالقرويين بعد صلاة الصبح ونهارا، وكان يدرس في الأول «الشفا»، وفي الثاني «صحيح البخاري»، وفي الثالث بعد صلاة الصبح : «رسالة ابن أبي زيد»، ونهارا «المرشد المعين».

20 ـ ومجلس أخيه... سيدي محمد بالقرويين بين العشاءين وبعد صلاة الظهر، وبجامع عقبة ابن صوال بين العشاءين وبعد طلوع الفجر، وبمولانا إدريس بالجامع الجديد بموضع الحزب، وكان يدرس في الأول «صحيح البخاري»، وفي الثاني تارة «البخاري» وتارة «الشمائل»، وضحوة «الشفا» المرة بعد المرة : تارة سردا، وتارة تدريسا، وفي الثالثة الشمائل».

21 ـ ومجلس... سيدي الأمين الزيزي بسيدي نوار بين العشاءين، وكان يدرس «همزية البوصيري» تارة، و«رسالة ابن أبي زيد» أخرى.

22 ـ ومجلس... القاضي مولاي مّحمد... بجامع القرويين بعد صلاة الظهر، وكان يدرس «صحيح البخاري».

23 ـ ومجلس... سيدي محمد المكناسي بمولانا إدريس : بين العشاءين وبعد الفجر، وكان يدرس «همزية البوصيري».

24 ـ ومجلس... مولانا أحمد العراقي بمولانا إدريس بعد الصبح، وكان يدرس صحيح البخاري.

وما لا يحصى من مجالس المذاكرة.